" تعزيز التكاملية الزوجية لمواجهة التحديات المعاصرة من منظور القرآن الكريم"

إعداد الدكتورة

مريم بنت فائز بن عوضه الأسمري

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين

بجامعة الملك خالد، أبها، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: malasmry@kku.edu.sa

(هذا البحث تم دعمه من خلال برنامج المجموعات الصغيرة بعمادة البحث والدراسات العليا – جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية

RGP1/220/45)

الملخص:

تناولت هذا الدراسة مفهوم التكاملية الزوجية في ضوء القرآن الكريم، باعتباره نظامًا ربانيًا متكاملًا يسهم في تحقيق الاستقرار الأسري والاجتماعي. وأبرز التحديات المعاصرة التي تعيق تحقيق التكامل بين الزوجين، مثل التحولات الاجتماعية، والضغوط الاقتصادية، والمشكلات النفسية، والتأثيرات التكنولوجية.

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لفهم واقع التكاملية الزوجية، والمنهج الاستنباطي لاستنباط القيم والمبادئ القرآنية التي تسهم في معالجتها.

وجاء هذا البحث في مقدمة مبحثين وخاتمة عرفته في المبحث الأول التكاملية الزوجية اللغة والاصطلاح ثم تحدثت عن موضوع مفهوم التكاملية الزوجية في القرآن الكريم وفي المبحث الثاني تحدثت عن أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه التكاملية الزوجية وطرق وسبل تعزيزها من القرآن الكريم.

وقد خلصت الدراسة إلى أن التكاملية الزوجية لا تعني التماثل في الأدوار، بل التكامل والتناسق، كما أن تجاوز التحديات المعاصرة يتطلب استحضار القيم القرآنية في السلوك اليومي للزوجين، وتفعيل دور المؤسسات التربوية والدينية والإعلامية في نشر الوعي الأسري.

الكلمات المفتاحية: التكاملية الزوجية، مهددات الزواج، تعزيز الزوجية.

"Enhancing Marital Integration to Confront Contemporary From a Qur'anic Perspective" Challenges

Prepared by Dr.
Maryam bint Fayez bin Awadha Al-Asmari
Assistant Professor, Department of Qur'an and Qur'anic Sciences, College of Sharia and Fundamentals of Religion
King Khalid University, Abha, Kingdom of Saudi Arabia
Email: malasmry@kku.edu.sa

Abstract

This study explores the concept of marital complementarity in light of the Holy Qur'an, considering it a divine and integrated system that contributes to family and social stability. It also addresses the main contemporary challenges that hinder achieving this complementarity between spouses, such as social transformations, economic pressures, psychological issues, and technological influences.

The research adopts the descriptive-analytical method to understand the reality of marital complementarity, and the deductive method to extract Qur'anic values and principles that help address these challenges.

The study consists of an introduction, two main chapters, and a conclusion. The first chapter defines marital complementarity linguistically and terminologically and discusses its concept in the Qur'anic context. The second chapter highlights the key contemporary challenges facing marital complementarity and the Qur'anic-based approaches to enhancing it.

The study concludes that marital complementarity does not imply a sameness of roles, but rather harmony and cooperation. Overcoming contemporary challenges requires integrating Qur'anic values into the daily behavior of spouses and activating the role of educational, religious, and media institutions in promoting family aw

Keywords: Marital complementarity, threats to marriage, strengthening marital bonds.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

تحتل الأسرة في الإسلام مكانة محورية باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المسلم القوي والمتماسك، وقد أولى الإسلام عناية فائقة بتنظيم شؤون الأسرة وترسيخ دعائمها، انطلاقًا من إدراكه العميق لدورها الحيوي في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والنفسي للأفراد وللمجتمع.

فالأسرة هي المحضن الطبيعي لتربية الأجيال وغرس القيم والأخلاق الفاضلة. فهي المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الفرد مبادئ الدين والأخلاق، ويتعلم فيها آداب التعامل والسلوك القويم. كما أنها تمثل السكن والمأوى الذي يجد فيه الإنسان الراحة والطمأنينة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [سورة الروم: ٢١].

إن اهتمام الإسلام بالأسرة تجلى في العديد من الأحكام والتشريعات التي نظمت العلاقات الأسرية وحددت الحقوق والواجبات بين أفرادها. وفي مقدمة هذه التشريعات حث الإسلام على الزواج، وجعله نصف الدين، ووضع الأسس السليمة لاختيار الزوجين، ثم رسم المنهج المتكامل للتربية والرعاية، والتأكيد على أهمية التكافل والتراحم بين أفراد الأسرة.

وفي ظل التحديات المعاصرة التي تواجه الأسرة المسلمة، تبرز الحاجة الملحة إلى إعادة التأكيد على القيم الأسرية الإسلامية، والعمل على تعزيزها وترسيخها في نفوس الأفراد والمجتمعات، لضمان بناء أسر قوية ومتماسكة قادرة على مواجهة تحديات العصر والحفاظ على هويتها وقيمها الأصيلة.

- **أهمية الموضوع وأسباب اختياره:**

يكتسب موضوع " تعزيز التكاملية الزوجية لمواجهة التحديات المعاصرة من منظور القرآن الكريم " أهميته من الأسباب التالية:

١. الأهمية المحورية للأسرة في الإسلام: إذ تعد الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المسلم، وقد أولاها الإسلام عناية فائقة لدورها الحيوي في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والنفسي للأفراد والمجتمع.

٢. التحديات المتزايدة التي تواجه الأسرة المعاصرة: في ظل التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية السريعة، تواجه الأسرة المسلمة تحديات جديدة تهدد استقرارها وتماسكها

٣. ضرورة إعادة التأكيد على القيم الأسرية الإسلامية: في مواجهة هذه التحديات، هناك حاجة ملحة لإحياء وترسيخ القيم الأسرية الإسلامية الأصيلة.

٤. أهمية استنباط الحلول من القرآن الكريم: يعد القرآن الكريم المصدر الأساسي للتشريع الإسلامي، وفيه الهدى والنور لمواجهة تحديات كل عصر.

- **مشكلة البحث:**

تتمحور مشكلة البحث في كيف يمكن مواجهة التحديات المعاصرة التي تعترض التكاملية الزوجية في المجتمعات الإسلامية، وما سبل تعزيزها في ضوء التوجيهات القرآنية؟

ومن هذه الإشكالية الرئيسية، تتفرع الأسئلة البحثية التالية:

١. ما المقصود بالتكاملية الزوجية في الإسلام؟

٢. ما أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه التكاملية الزوجية في المجتمعات الإسلامية؟

٣. كيف يمكن تعزيز التكاملية الزوجية من منظور القرآن الكريم؟

- **أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى الآتي:

١. تحديد مفهوم التكاملية الزوجية في القرآن الكريم.

٢. دراسة أهم التحديات المعاصرة التي تؤثر على التكاملية الزوجية في العصر الحاضر .

٣. الوقوف على سبل تعزيز التكاملية الزوجية من القرآن الكريم.

- **منهجية البحث:**

لتحقيق أهداف هذا البحث والإجابة عن إشكالاته، سأعتمد منهجية متكاملة تجمع بين عدة مناهج بحثية، وهي كالتالي:

١. المنهج الوصفي التحليلي: والذي سأستخدمه في وصف وتحليل مفهوم التكاملية الزوجية في الإسلام، وتحليل التحديات المعاصرة التي تواجهها، ودراسة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي وتأثيره على التكاملية الزوجية.

٢. المنهج الاستنباطي: والذي سأستخدمه في استنباط الحلول والتوجيهات من الآيات القرآنية لمعالجة التحديات المعاصرة، استخلاص المبادئ والقيم القرآنية التي يمكن تطبيقها في السياق الأسري المعاصر.

المنهجية المتبعة في التعليق والتوثيق:

١. جمعت المادة العلمية من المصادر الأصلية والمراجع الحديثة.

٢. عرفت بالمصطلحات العلمية الواردة في البحث فإن كان المصطلح من المصطلحات الأساسية ورجعت في ذلك إلى المصادر الأصلية من كتب اللغة والأصول والقراءات وغيرها من كتب التعريفات والمعاجم.

٣. عزوت الآيات القرآنية في متن الرسالة بين المعقوفتين [ ] عقب الآية مباشرة.

٤. خرجت الأحاديث النبوية والآثار تخريجاً مختصراً، مع بيان حال الأحاديث المرفوعة، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن كانت في غيرهما ذكرت حكم العلماء عليها.

٥. وثقت النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية وعزوتها إليها بالطرق المتعارف عليها بين الباحثين، واكتفيت في الحاشية باسم المرجع واسم مؤلفه في أول ورود له، أما وصفه من حيث دار النشر والطبعة وسنة الطباعة ونحو ذلك من الأمور اللازمة فذكرتها في فهرس المراجع طالبا للاختصار

- **الدراسات السابقة:**

بعد البحث والتتبع لم أعثر على دراسة متخصصة تقف على سبل تعزيز التكاملية الزوجية لمواجهة التحديات المعاصرة من منظور القرآن الكريم.

.خطة البحث:

تكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلته وأهدافه والدراسات السابقة له، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم التكاملية الزوجية، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف التكاملية الزوجية في اللغة والاصطلاح.
- المطلب الثاني: مفهوم التكاملية الزوجية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: سبل تعزيز التكاملية الزوجية لمواجهة التحديات المعاصرة، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التحديات المعاصرة التي تواجه التكاملية الزوجية.
- المطلب الثاني: سبل تعزيز التكاملية الزوجية من القرآن الكريم.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التكاملية الزوجية.

المطلب الأول: تعريف التكاملية الزوجية في اللغة والاصطلاح.

مما يزيد البحث تأصيلا وبيانا أن يفتتح بتعريف المصطلحات العلمية الوارد في عنوانه والتي من شأنها أن تعين على فهم المراد منه فنقول:

أولاً: تعريف الزوجية في اللغة والاصطلاح:

الزوجية في اللغة: مشتقة من "زوج"، الذي يعني الاقتران أو الانضمام بين شيئين، قال ابن فارس: " الزاء والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء". ومن ذلك الزوج زوج المرأة. والمرأة زوج بعلها، وهو الفصيح. قال الله جل ثناؤه: ﴿ **وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ** ﴾ [سورة البقرة:٣٥]تزاوج القوم: أي تزوج بعضهم بعضا وزوج الشيء بالشيء، وزوجه إليه: قرنه. والزوج المرأة، والزوج المرء. والزوجية: مصدر صناعي بمعنى الزواج، يقال: بينهما حق الزوجية، وما زالت الزوجية بينهما قائمة[(١)].

والزوجية في الاصطلاح: الزواج في الشرع هو النكاح: والنكاح: عقد التزويج، فعند إطلاق لفظه ينصرف إليه، ما لم يصرفه عنه دليل [(٢)]. فالزواج يطلق على العقد الذي يعطي لكل واحد من الزوجين حق الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع.

وبناء على التعريف اللغوي والاصطلاحي للزوجية يمكننا أن نعرفها بأنها: العلاقة القانونية والاجتماعية التي تربط بين الرجل والمرأة في إطار الزواج الشرعي.

ثانيًا: تعريف التكاملية في اللغة والاصطلاح:

التكاملية في اللغة: مشتقة من الفعل "كَمُلَ" بمعنى التمام أو الاكتمال. قال ابن فارس: "الكاف والميم واللام أصل صحيح يدل على تمام الشيء. يقال: كمل الشيء وكمل فهو كامل، أي تام. وأكملته أنا. قال الله تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ [سورة المائدة: ٣]، وتدل الكلمة على انضمام الأجزاء لتشكل كلاً متكاملًا[(٣)].

وتكامل على وزن (تفاعل) الذي يدل على أربعة معان:

أولها :التشريك بين اثنين فأكثر.

ثانيها :التظاهر بالفعل دون حقيقته.

وثالثها :حصول الزيادة بالتدريج شيئًا فشيئًا كتزايد النيلُ.

ورابعها :مطاوعة فاعَلَ، كباعدته فتباعد[(٤)].

---

(١) ينظر: ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس(٣/ ٣٥)، لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٩٣)، المعجم الوسيط، (٤٠٦/١)

(٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٧/ ٣)، الروض المربع، للبهوتي (١/ ٥٠٨)..

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٣٩)، والمفردات في غريب القرآن ،للراغب الأصفهاني (ص:٣١٩)، ولسان العرب (١١/ ٥٩٨).

(٤) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، لأحمد بن محمد الحملاوي (ص:٣٤).

وجميعها عدا المعنى الثاني تعمل في معنى التكاملية الزوجية، وأشدها وضوحا في ملائمته لمفهوم التكاملية هو المعنى الثالث لأن هذا التمام كان على تدرج شيئا فشيئا.

التكاملية في الاصطلاح: نقول: تكاملتِ الأشياء: أي كمَّل بعضُها بعضًا بحيث لم تحتج إلى ما يُكمِّلها من خارجها، متعاونة في الوصول إلى غرض واحد؛ جاء عن عبد الله بن مسعود قال: "لقد رأيتنا، وما تقام الصلاة حتى تكامل بنا الصفوف"(١).

فالتكاملية عبارة عن علاقة متبادلة بين طرفين أو أكثر حيث يؤدي كل طرف دورًا مكملاً للطرف الآخر لتحقيق هدف مشترك.

وبناء على التعريف اللغوي والاصطلاحي لكل من التكاملية والزوجية يمكن أن نعرف التكاملية الزوجية **كمصطلح مركب** بأنها: توزيع الأدوار والمسؤوليات بين الزوجين بحيث يعمل كل منهما على تلبية احتياجات الآخر، لضمان تحقيق المصلحة المشتركة.

المطلب الثاني: مفهوم التكاملية الزوجية في القرآن الكريم.

اعتنى الإسلام ببناء الأسرة المسلمة، وجعلها الصورة الطبيعية للحياة المستقرة التي تلبي رغبات الإنسان وتفي بحاجاته، وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله للناس، وجعل بناءها عبادة لله وامتثالا لأمره، قال الله تعالى: ﴿ **فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ** ﴾ [النِّسَاء : ٣] .

كما جعلها أساس الاستخلاف في الأرض، ففيها تنجب الذرية الصالحة، ويكثر نسل الإنسان، ويبقى نوعه، ويستمر؛ ليقوم بأمر الله ويحقق معنى الاستخلاف في الأرض، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ**﴾ [سورة فاطر: ٣٩].

ولأجل هذه المكانة في الديانة، ولأجل هذه المقاصد السامية، اعتنى القرآن بوضع الأطر المنظمة لهذا البناء، كما سن القوانين الربانية التي تحافظ عليه وتساهم في استمراره وبقاءه.

ومن الأطر الربانية عناية القرآن بمفهوم التكاملية الزوجية، حيث سعى القرآن إلى ترسيخ معانيها، وبيان أثرها على الكيان الأسري.

ولم يأتي لفظ التكاملية –صراحة–في القرآن الكريم، وإن كان ورد ضمنا في معان متعددة وأساليب مختلفة ضمن الآيات القرآنية التي اعتنت بشأن الأسرة المسلمة، حيث تضمن القرآن الكريم آيات عدة يؤدي إعمال ما جاء فيها من توجيهات ربانية إلى تحقيق التكاملية الزوجية، وبناء أسرة راسخة ينعم أفرادها بالاستقرار.

ومن هذه المعاني:

–**المماثلة في الجنس:** فمما امتنَّ الله على عباده أن خلق من جنسهم أزواجا، ليسكن الجنس إلى جنسه؛ قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ) [الرُّوم] فقوله: (مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا** ﴾ أي: من

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٠٥) رقم الحديث (٣٩٧٩) بلفظه، وقال شعيب الأرنؤوط: " صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف شريك، وهو ابن عبد الله النخعي، وهو متابع، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح".

جنسكم من بني آدم. وقيل: خَلقُ حواء من ضلع آدم[١]. وقد انطوت على عدة آيات كونية منها: أن جُعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جعل تناسله بالتزاوج، وجعل أزواجه من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسا بين الزوجين، وجعل بين كل زوجين مودة ومحبة؛ فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وجعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعد التزاوج متحابين متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة، فختمت بقوله: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [٢] فلخصت نظام الناس العام، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ، نظام بني على الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل.

-الملابسة والمساكنة: فوصف الله حال الزوجين بـ (اللباس) وهو وصف غاية في الدقة والتكامل في المسؤوليات الزوجية، قال الله تعالى: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، قال الطبري: "جَعل كلَّ واحد منهما لصاحبه"لباسًا"، لأنه سَكنٌ له، كما قال جل ثناؤه: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا** ﴾ [الفرقان: ٤٧] ، يعني بذلك سكنًا تسكنون فيه. وكذلك زوجة الرجل سَكنه يسكن إليها، كما قال تعالى ذكره: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٩] فيكون كل واحد منهما"لباسًا" لصاحبه، بمعنى سكونه إليه. وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون في ذلك"[٣] وقيل: لا يسكن شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر[٤].

وأما التعبير عن ذلك بلفظ اللباس دون غيره فلأن لفظ اللباس مستعمل في كل ما يغشى الإنسان ويلتبس به قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا** ﴾ [النبأ: ١٠]وقال: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** ﴾ [الأعراف: ٢٦] [٥]، واللباس اسم لما يواري الشيء فيجوز أن يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل [٦]، قال ابن عثيمين: "وعبر سبحانه باللباس لما فيه من ستر العورة، والحماية، والصيانة؛ وإلى هذا يشير قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج"[٧][٨].

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٦/ ٢٦٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢١/ ٧٠-٧١).

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري (٣/ ٤٩١)

(٤) ينظر: معالم التنزيل (١/ ٢٠٧)

(٥)ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٧/ ١١٠)

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (٢/ ٢١٢).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» (٧/ ٣) رقم الحديث (٥٠٦٥).

(٨) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ٣٤٧)

لذا كان من المناسبة أن يعبر بلفظ (الخلع) للخروج من هذا الحال قال ابن الجوزي: "وَإِنَّمَا سمي الْفِرَاق خلعا لِأَن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴾ فَإِذا خَالعهَا فقد خلع كل وَاحِد مِنْهُمَا لِبَاس صَاحبه"(١).

- **التكافؤ والعدل**: وذلك في الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فكل منهما حقوق تتناسب مع واجباته، فالتكامل بين الزوجين لا يعني التطابق في الأدوار، بل تحقيق العدل في توزيع المسؤوليات بطريقة تضمن استقرار الأسرة.

- **التشاور والتراضي**: فلم يجعل الأمر لأحدهما يستبد به دون الآخر، وإنما مداره على مراعاة المصالح، والتكامل في الأدوار، فقال الله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالآية بينت أهمية التشاور بين الزوجين في القرارات الأسرية، حتى في أدق الأمور مثل فطام الطفل، وإعمال هذا المبدأ في الحياة الزوجية يعزز التكامل في صنع القرار، ويمنع استبداد طرف على حساب الآخر، قال ابن عاشور: "**{عَنْ تَرَاضٍ}** متعلقة بـ{**أَرَادَا**} أي: إرادة ناشئة عن التراضي، إذ قد تكون إرادتهما صورية أو يكون أحدهما في نفس الأمر مرغما على الإرادة، بخوف أو اضطرار. وقوله: {**وَتَشَاوُرٍ** } مصدر شاور إذا طلب المشورة. والمشورة قيل: مشتقة من الإشارة لأن كل واحد من المتشاورين يشير بما يراه نافعا فلذلك يقول المستشير لمن يستشيره: بماذا تشير علي كأن أصله أنه يشير للأمر الذي فيه النفع.... وعطف التشاور على التراضي تعليما للزوجين شؤون تدبير العائلة، فإن التشاور يظهر الصواب ويحصل به التراضي"(٢)، فمن أراد الفطام قبل تمام الحولين فليس له ذلك إلا أن يجتمعا عليه فإن اتفقا –والدا الطفل– على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك، وانفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر، وهذا فيه احتياط للطفل، وإلزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما وأرشدهما إلى ما يصلحه ويصلحهما"(٣)

– **ولا تنسوا الفضل**: وهذا المعنى من أهم المعاني التي تبرز فيه التكاملية الزوجية في أبهى صورها ، فإن تعذرت الحياة الزوجية وباتت في رمقها الأخير، فكلاهما مطالب بحفظ الود وصون العشرة، قال الله تعالى في ختام آيات الطلاق، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٣٧] والفضل هنا هو المعروف والإحسان(٤)، قال الرازي في بيان معنى الآية: " وليس المراد منه النهى عن النسيان لأن ذلك ليس في الوسع بل المراد منه الترك فقال تعالى: ولا تتركوا الفضل والإفضال فيما بينكم"(٥)، فبنى الأمر

(١) ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٩٦)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢/ ٤٣٨)

(٣) ينظر: جامع البيان (٥/ ٦٧) معالم التنزيل (١/ ٢٧٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٦٣٥)

(٤) جامع البيان (٥/ ١٦٦).

(٥) مفاتيح الغيب للرازي(٦/ ١٢٤)

هنا على الفضل لا العدل، لأن العدل وحده قد يكون شاقاً وتبقى البغضاء في النفوس، ولكن عملية الفضل تنهي المشاحة والمخاصمة والبغضاء.

وقال السعدي: "معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم"[1]، لذا بنى القرآن الكريم الأمر بين الزوجين على الفضل وليس العدل.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي(ص: ١٠٥).

المبحث الثاني: سبل تعزيز التكاملية الزوجية لمواجهة التحديات المعاصرة.

المطلب الأول: أبرز التحديات المعاصرة التي تواجه التكاملية الزوجية:

من المسلمات البديهية أن تتعرض الحياة الزوجية في بداية تكوينها إلى أزمات وخلافات تعود إلى طبيعة الحياة الزوجية واختلاف الأدوار فيها، ومدى قدرة الزوجين على استيعاب الأدوار الجديدة، وتأثير خلفياتهم الأسرية الماضية على فهم أدوارهم الجديدة "فطبيعة الحياة الزوجية واختلاف الأدوار فيها، و تصارعها أحيانا وطبيعة التفاعل الاجتماعي بين الزوجيين من جهة، وبينهما وبين بقية أفراد الأسرة من جهة ثانية، وبين الأبناء أنفسهم من جهة ثالثة يجعل من الخلافات، والنزاعات أمرا مألوفا، ومتوقعا فيها و أنها حالة طبيعية تتواجد في جميع الأسر" [1]إلا أن أقوى الخلافات وأشدها فهي تلك التي يتعرض لها الزوجين في الوقت الحاضر، بسبب كثرة المشاكل والضغوطات التي تتعرض لها سواء أكانت مشاكل بيتيه أو اجتماعية أو نفسية أو اقتصادية أوفي مجال العمل. فهذه الضغوطات تجعل من دورها دورا أكثر تعقيدا.

لذا باتت التكاملية الزوجية تواجه صعوبات جمّة نتيجة للتغيرات المتسارعة في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي نشهدها، مما أدى إلى تفاقم المشكلات الأسرية وزيادة معدلات التفكك الأسري.

وتشمل هذه التحديات المعاصرة جوانب متعددة من حياة الإنسان المعاصر، وهي متفاوتة فيما بينها تأثر وتأثيرا على التكاملية الزوجية والحياة الأسرية، وفيما يلي أبرز جوانبها:

أولاً: التحديات الاجتماعية والثقافية:

شهدت الأسرة المسلمة في العصر الراهن تحديات اجتماعية وثقافية أثرت بطريقة مباشرة على التكاملية الزوجية التي تتطلبها الحياة الأسرية، إذ كان لتغير الصورة النمطية والأدوار التقليدية للزوجين تأثير كبير على مفهوم الأسرة، والعلاقة بين الزوجين، وكيفية توزيع المسؤوليات داخل المنزل.

ولكي تتضح الصورة لا بد من الوقوف على الأدوار التقليدية التي يمارسها كلا الزوجين في السياقات التقليدية السابقة ومقارنتها بما فرض عليهم في الحياة المعاصرة، حيث كانت تُقسم الأدوار – سابقا– بصورة صارمة بناءً على النوع الاجتماعي لكلا الزوجين؛ حيث كان عبء المسؤوليات المالية وتوفير الاحتياجات الأساسية للأسرة مسؤلية الزوج، وهي إحدى درجات التفضيل التي اختص الله بها الرجال دون النساء في قول الله تعالى: (**ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ**) [النساء: ٣٤]، بينما يقتصر دور الزوجة على المهام المنزلية ورعاية الأبناء، باعتبارها المسؤولة عن استقرار الداخلي، والقيام بمهام الحضانة والرعاية والعمل على استقرار الأسرة، وتولي إدارتها لتصل بها إلى منطقة آمنة يستطيع من خلالها الأبناء العيش في بيئة آمنة، تساعدهم في تحقيق أهدافهم، وما يصبو إليه والديهم.

---

(١) الخلافات والصراعات بين الزوجين في الأسرة و أساليب تصفيتها، صبيحة بوخدوني ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم النفسية والاجتماعية، ٢٠١٣.(ص: ٢)

ثم لما تغير الحال حين زُجَّ بالمرأة إلى سوق العمل في القرن العشرين، أدى ذلك إلى تغير الأدوار التقليدية، وأصبح من الشائع أن تسهم المرأة بشكل فعَّال في الإنفاق الأسري؛ نظرا لضغوط الحياة الاقتصادية، وقناعة الزوجين بضرورة مشاركة الزوجة في توفير الاحتياجات الأساسية للأسرة، وقد أدى ذلك إلى إعادة تقسيم الأدوار داخل المنزل.

مما أدى إلى مشاركتها الرجل أدواره التقليدية واتخاذ القرارات المصيرية، كما كان للتحولات القانونية والتطور في التشريعات الخاصة بالمرأة والأسرة في العديد من الدول دور في هذا التغيير(١).

هذا التداخل في الأدوار أسهم بشكل كبير في حدوث الخلافات الأسرية، لأن التغير أحيانًا يكون غير متوافق مع التوقعات الاجتماعية أو العائلية، إما لتمسك أحد الطرفين ببقايا الدور التقليدي، أو لضغط الأعباء المشتركة على أحد الزوجين ورغم التحديات التي يفرضها هذا التحول، إلا أنه يُمكن أن يُعزز من التكاملية الزوجية إذا أُدير بتفاهم ووعي مشترك(٢).

ثانيا: التحديات النفسية والعاطفية:

يعد الجانب النفسي والعاطفي للزوجين ركن مهم في تحقيق التكاملية الزوجية وقيام الأسرة وتماسكها ومواجهتها للتحديات والمصاعب.

وقد لعبت الأحوال النفسية والمشكلات العاطفية دورا أساسيا في ظهور الكثير من التحديات التي تواجه الحياة الزوجية المعاصرة وتهدد تكامليتها؛ وإنما عدت الأحوال النفسية والمشكلات العاطفية تحد يهدد التكاملية الزوجية في العصر الحاضر بخلاف العصر المنصرم؛ وذلك لتبدل أحوال الناس وعموم الرخاء، وانفتاح الفضاء، والتأثر بما يؤدلج في الإعلام العالمي، والترويج لمحاربة كل مخالف لصوره المنمطة.

وقد تجلت مظاهر التحدي في هذا السياق على النحو الآتي:

١- ضعف مهارات التواصل بين الزوجين وما يترتب عليه من الشعور بالروتين والملل، أو التوتر والتأزم في العلاقات والتي تؤدي بدورها إلى الطلاق؛ فالتواصل الفعّال يُعدّ المقوم الأساسي للعلاقات الزوجية الناجحة، حيث يعزز من التفاهم المتبادل ويُسهم في بناء تكاملية زوجية قوية.

وقد أدت التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية إلى تراجع العلاقات، وضعف التواصل داخل الأسرة، مما أدى إلى تفكك العلاقات الزوجية واضطرابها والذي ترتب عليه إضعاف التكاملية الزوجية. ولا يراد بالتواصل الفعال الحديث المجرد، بل هو القدرة على الاندماج الأسري والقدرة على التعبير عن الاحتياج.

ويظهر ضعف التواصل في غياب الحوار البنّاء؛ إذ يميل بعض الأزواج إلى تجاهل أهمية النقاش الهادف، مما يؤدي إلى سوء فهم متكرر، خاصة في القضايا المرتبطة التربية أو الأمور المالية. كذلك في استعمال

---

(١) ينظر: اتخاذ القرارات في الأسرة السعودية في ضوء المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للمرأه العاملة، وفاء بنت حمد آل سعد، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية المجلد الرابع عشر – الجزء الثاني – يوليو ٢٠٢٠م (ص:٥٦٠)، والتغير الثقافي والاجتماعي وعلاقته بالتفكك الأسري، وليد عبد الرزاق الثبيتي، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات المجلد الثالث – الإصدار الثامن والعشرون٢٠ فبراير ٢٠٢٢ م (ص:٣١٥-٣٢٠)

(٢)ينظر: التغير الاجتماعي و أثره على الأسرة وشخصية الأبناء، د. زيتوني عائشة بية، مجلة دراسات وأبحاث، العدد (٢٨) سبتمبر ٢٠١٧، السنة التاسعة (ص:٩٧)

الصمت العقابي أو سيطرة الصمت، وفي كثرة الانتقاد السلبي المستمر الذي يؤدي إلى تصعيد المشكلات بدلاً من حلها.

كما أن التوتر الناتج عن الأدوار والمسؤوليات التربوية والأسرية، والضغوط الاقتصادية، والضغوط الناتجة عن تحقيق الأهداف المهنية والتي ترفع من مستويات القلق والاكتئاب لدى الأزواج، وتضعهم تحت ضغط كبير مما يقلل من فرص النقاش الهادئ والبناء. ويتسبب في تراكم الضغوط النفسية والعاطفية، وبالتالي إلى تصاعد النزاعات والخلافات بين الزوجين(١).

٢- إصابة أحد الزوجين بأحد الأمراض النفسية، والتي تصنف بـ (الأمراض المزمنة) كالاكتئاب والقلق والوسواس وغيرها، وما يحتاجه المريض من مراعاة خاصة وعناية مطلوبة، مما يتوجب على من كان مصابا بها بيان ذلك للطرف الآخر قبل الزواج حتى يكون على بينة من أمره، وله الخيار، إذ إن الصمت على مثل هذه الأحوال وعدم أثناء الخطبة سبب من الأسباب التي تؤدي إلى الانفصال أو تهدد التكاملية الزوجية. أما لو أصيب بها الشخص بعد الزواج أو اكتشف إصابته بها بعد الزواج فإن على الطرف الآخر الوقوف مع صاحبه ودعمه النفسي ومساعدته على تلقي العلاج(٢).

إن إهمال وتجاهل الجانب النفسي والعاطفي بصفة عامة، وبين الزوجين بصفة خاصة ظاهرة غير مستحبة في المجتمع المسلم وهي خلاف المنهج النبوي، حيث تؤدي إلى تراجع العلاقات داخل الأسرة والمجتمع؛ وتحويلها من علاقات قائمة على التكاملية والمودة والتعاون إلى علاقات تسودها الفردية والأنانية وتقديس الذات.

❖ ثالثا: التحديات الاقتصادية:

في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية العالمية تمثل التحديات الاقتصادية أحد أكبر العوامل المؤثرة على التكاملية الزوجية، مما لا تؤثر فقط على الجوانب المادية للحياة الأسرية، بل تمتد إلى الجوانب النفسية، والعاطفية، والاجتماعية، مما يهدد استقرارها ووظائفها الأساسية.

ومن أبرز الأمور الاقتصادية التي تؤثر على التكاملية الزوجية والحياة الأسرية المستقرة ما يلي:

١- ارتفاع تكاليف المعيشة واحتياجات الأسرة: ففي ظل ارتفاع الاحتياجات اليومية، مثل تكاليف التعليم، والسكن، والرعاية الصحية، أصبحت الضغوط المادية عبئًا على الأسر. مما يضطر كثيرا من الأزواج إلى العمل لساعات طويلة لتلبية الاحتياجات الأساسية، وهذا يؤدي إلى تراجع وقت الأسرة وغياب التواصل العاطفي بين أفرادها، وتفاقم المشكلات، ويزداد الأمر سوء إذا كان كلا الزوجين مرتبط بعمل لساعات طويلة.

---

(١) ينظر: إدارة الضغوط الأسرية للأم وعلاقتها بالشعور بالأمن الأسري للأبناء، د/ ريهام كامل السعيد النقيب مجلة بحوث التربية النوعية – جامعة المنصورة عدد (٦٥)- يناير ٢٠٢٢

(٢) ينظر: العلاقة الزوجية المتكدرة وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء أ. نويبات قدور، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد (الثامن) ٢٠١٢م (ص:٢٢٧)

٢- انتشار ثقافة الاستهلاك جعل من التحديات الاقتصادية أكثر تعقيدًا، حيث يتم فرض نمط معيشي يتطلب مستوى أعلى من الإنفاق، لمواكبة المجتمع وارهاق ميزانية الأسرة بكماليات يمكن الاستغناء عنها(١)

٣- مشكلة البطالة(٢) وتأثيرها على التكاملية الزوجية إذ تعد البطالة من أبرز المشكلات التي ظهرت في هذا العصر وشكلت تحديا كبيرا على التكاملية الزوجية فنقص الدخل وعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية للأسرة، مثل الغذاء، السكن، والتعليم، وهذا نقص في الموارد يُهدد استقرار الأسرة وقد يؤدي إلى تفككها.

كما أنها تؤدي إلى تراجع القوامة المالية للزوج: ففي نظام الأسرة في الإسلام، يتحمل الزوج مسؤولية الإنفاق، قال الله تعالى: ﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ** ﴾ {النِّسَاء : ٣٤} فعندما يفقد الزوج عمله، يُصبح غير قادر على الوفاء بمسؤولياته المالية تجاه أسرته، مما يشعره بالعجز والإحباط ومن ثم ضعف دوره القيادي داخل الأسرة، وتدهور العلاقة الزوجية بسبب شعور الزوجة بعدم الاستقرار المالي.

وربما أدى ذلك إلى تحد آخر خاصة إذا تحملت الزوجة عبء الإنفاق وحدها مما يسبب استنزافا ماديا نفسيا لها، ومن ثم اتساع رقة المنازعة بينهما(٣).

لذا أرى أن التحد الاقتصادي من أهم التحديات في العصر الحاضر التي تهدد التكاملية الزوجية وقد تودي بها.

رابعا: التحديات التكنولوجية:

أحدثت الثورة المعلوماتية تحولًا كبيرًا في مختلف جوانب الحياة، بما في ذلك العلاقات الزوجية والأسرية، ورغم الفوائد العديدة التي جلبتها التكنولوجيا إلا إنها شكلت تحد كبير وأثرت سلبًا على التكاملية الزوجية.

---

(١) الاستهلاك الترفي بالأعراس في المجتمع السعودي (المظاهر والآثار)، أسرار مهدي الجحدلي وأخريات، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات | المجلد الخامس | الإصدار السادس والخمسون | يونيو ٢٠٢٤ م، (ص:١٧٤)، ثقافة استهلاك المرأة وأثرها في عزوف الشباب عن الزواج، "دراسة تطبيقية على شباب منطقة القصيم"، فداء النويصر، مجلة ابتكارات الدراسات للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد ٣ عدد ١ (٢٠٢٥)، (ص:١٣).

(٢) عرفت البطالة على أنها: "حالة عدم توافر العمل لشخص راغب في مهنة تتفق مع استعداداته وقدراته وذلك نظرا لحالة سوق العمل". ينظر: الحديث في الاقتصاد القياسي بين النظرية والتطبيق لعبد القادر عطية، الدار الجامعية، الإسكندرية (٢٠٠٣).

(٣) ينظر: ظاهرة البطالة: مفهومها، أسبابها وآثارها، رحيمي عيسى، وآخرون، مجلة إرتقاء للبحوث والدراسات الاقتصادية، ٢٠١٨م(ص١٤٧-١٤٨)

وظهر ذلك في صور متعددة كتراجع الأنشطة الاجتماعية، وقلة الاهتمامات والهوايات المشتركة، وتكريس روح الفردية وخلق عوالم افتراضية منفصلة لكل فرد داخل الأسرة، كذلك زيادة النزاعات الزوجية الناتجة عن الإفراط في استخدام الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي(١) .

وسبب إدراجي لها كأحد التحديات التي تواجه التكاملية الزوجية سلطتها في تحقق الإشباع الفوري، وتمكن من تحقيق نجاح سريع في الولوج إلى المستجدات، وهي عوامل قد تقود إلى الإدمان. وربما تتسبب في انقطاع التواصل بين الأفراد، (٢).

ومن أبرز التحديات التكنولوجية التي تواجه التكاملية الزوجية ما يلي:

١- إضعاف التواصل المباشر بين الزوجين: فقد أدى الاستخدام المفرط لوسائل التواصل الاجتماعي إلى تراجع التواصل المباشر بين الزوجين، حيث يقضي كل طرف وقتًا أطول على هاتفه بدلاً من التفاعل مع شريكه، كذلك الاعتماد على الرسائل النصية وتطبيقات الدردشة كوسيلة أساسية للتواصل جعل التفاهم بين الزوجين أقل عمقًا، حيث إن التفاعل اللفظي المباشر أكثر تأثيرًا في بناء العلاقة العاطفية. قد يؤدي ضعف التواصل إلى تزايد المشكلات الزوجية بسبب عدم القدرة على التعبير عن المشاعر بشكل واضح(٣)

٢- انتشار الإباحية والعلاقات غير الشرعية وتزايد فرص الخيانة الإلكترونية: فقد أتاح الإنترنت ومواقع التواصل إمكانية تكوين علاقات خارج إطار الزواج، فربما لجأ أحد الزوجين إلى العلاقات الافتراضية كوسيلة للهروب من المشكلات الزوجية، مما يؤدي إلى تدهور العلاقة الحقيقية بين الزوجين، (مما يزيد الامر سوء هو لجوء احد الزوجين او كلاهما الى التنفيس عن كبتهما وتحقيق رغباتهما خارج اطار الزواج ، فنجد الزوجة تميل الى شخص اخر لتعويض النقص والفتور العاطفي والفجوة النفسية في المنزل ، والزوج ايضا يبحث عن شريكه اخرى تشبع له مطالبة الشخصية غير زوجته ، فالخيانة الزوجية تزداد في هذا العصر الرقمي من أجل التعويض عن الفتور والنقص العاطفي الذي يحدث بين الزوجين والترويح عن النفس من خلال اثبات الذات في مجال العمل) (٤)

---

(١) ينظر: العلاقة بين اساليب التواصل الزواجي وقدرة الزوجين على إدارة ضغوط الحياة وأثره على دافعية الزوجة للإنجاز، أ.د/ وفاء محمد فؤاد شلبي ولآخرون، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، كلية التربية – جامعة قناة السويس العدد (الرابع) ٢٠١٥م، (ص: ٥١١).

(٢) ينظر مهددات التقنية الرقمية وتأثيرها على الاسرة فرح عبد الحسين نجمان، مجلة لارك جورنال العدد(٥٢)، ٢٠٢٤ م، ص(٥١٧)

(٣) ينظر: العلاقات الأسرية، لحصة بنت صالح المالك، وربيع محمود نوفل، ،دار الزهراء، الرياض ،٢٠٠٦. الخلافات والصراعات بين الزوجين في الأسرة و أساليب تصفيتها، صبيحة بوخدوني ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم النفسية والاجتماعية، ٢٠١٣.(ص: ٢)

(٤) ينظر: العلاج الاسري ومواجهة الخلافات الاسرية. أ. د. محمد مسفر القرني وسهير عبد الحفيظ الغالي، ، الطبعه الاولى ، مكتبة الرشد لنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ٢٠٠٤ (ص:٧٥). ومهددات التقنية الرقمية وتأثيرها على الاسرة فرح عبد الحسين نجمان، مجلة لارك جورنال العدد(٥٢)، ٢٠٢٤ م، ص(٥١٧)

٣- إدمان التكنولوجيا: وهذا السبب من أكثر الأسباب التي تسببت في التفكك الأسري، فالتقنيات الرقمية بصورة عامة، ووسائل الاتصال الحديثة التي دخلت إلى الأسر بصورة خاصة، أظهر ما يسمى ب(إدمان الانترنت)، وعرّف إدمان الانترنت بأنه: استخدام أحد الزوجين للإنترنت سواء (مواقع التواصل الاجتماعي، أو برامج الدردشة والمحادثات، أو ألعاب الإنترنت ، أو تصفح مواقع الانترنت عامة) بشكل مفرط، أي ما يزيد عن خمس ساعات يوميا مما يمنعه عن ممارسة حياته الطبيعية، ويؤثر سلبياً على المحيطين به وخاصة الطرف الآخر، مما يهدد بصورة مباشرة استقرار الأسرة، أو يؤدي إلى حدوث الخلاف بينهما(١)، وجراء الإهمال المترتب على الاستخدام المفرط الذي يضر حتما بالتكاملية الزوجية ويدخل الزواج إلى ما يسمى بالاغتراب الزواجي وهي الحالة التي تسيطر على الطرف المتضرر، وتجعله يتشعر بغربة تامة تصل الى حد الجفاء والبعد، وعدم التواصل والحوار وعدم التفاهم في مختلف القضايا الأسرية، وفقدان الأمن النفسي والأسري، نتيجة إدمان الطرف الآخر على الانترنت(٢).

المطلب الثاني: تعزيز التكاملية الزوجية من منظور القرآن الكريم:

تقوم التكاملية الزوجية في القرآن الكريم على أسس متينة أرسى قواعدها النظام الرباني، الذب خلق الخلق فأحسن تدبيره، وجعل من الزواج علاقة متكاملة بين الرجل والمرأة تهدف إلى بناء أسرة مستقرة؛ في ظل نظام متكامل يتضمن حقوقًا وواجبات متبادلة، تُرسي أسس السعادة الزوجية، وتساهم بإذن الله في تأسيس أسرة صالحة متماسكة، يتمتع أفرادها بصحة نفسية وفكرية واجتماعية، تساهم في بناء المجتمعات والنهوض بالأمم.

وفي خضم التحديات المعاصرة التي تناولنا طرفا منها، تحتاج الأسرة المسلمة إلى تعزيز المفاهيم الإسلامية التي قامت عليها العلاقة الزوجية في الدين الإسلامي، والحرص على جعلها خلفية ثقافية واجتماعية ترجع إليها التكاملية الزوجية في حل إشكالاتها، والخروج من مآزقها.

ولكي نصل إلى هذا الهدف لا بد من الوقوف على عدد من الأمور التي تساعد بإذن الله في تعزيز التكاملية، وجعلها ركنا شديدا تتكئ عليه التكاملية الزوجية لمجابهة التحديات المعاصرة.

أولا: تعزيز مفهوم السكن والطمأنينة:

يعدّ السكن والطمأنينة أهم الأسس التي تقوم عليها التكاملية الزوجية وهو الأساس الذي تبنى عليه الحياة الزوجية إذ لا يمكن أن تؤدى الحقوق ويقام بالواجبات، وينشأ جيل سليم في غيابه.

وقد ورد ذكر السكن في القرآن الكريم وجاء بمعنيين، بمعنى السكن المادي المكاني كقول الله تعالى:﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ**﴾[الطلاق: ٦]، وبمعنى السكن النفسي المعنوي، قوله

---

(١) ينظر: مهددات التقنية الرقمية وتأثيرها على الاسرة فرح عبد الحسين نجمان، مجلة لارك جورنال العدد(٥٢)، ٢٠٢٤ م، ص(٥١٨)، حقيقة التفكك الاسري اثاره وسبل علاجه احمد ابن صالح القاسم ، جامعة محمد بن سعود الاسلامية رسالة ماجستير منشورة بعنوان: ،، شبكة الالوكة ،٢٠١٦ .

(٢) الإرشاد الزواجي فصول في الاختيار والسعادة والاغتراب الزواجي، عبد الرحمن أحمد عثمان، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة السودان (٢٠٠٣) (ص:٦١- ٦٤)

تعالى :﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢١].

ولتحقيق المعنى الثاني لابد من الالتزام بالأول، إذ يتوجب على الزوج توفير السكن المادي الذي يلبي احتياجات الزوجة، ويحقق لها خصوصيتها واستقرارها، الذي بدوره يؤثر على عطائها واستقرار أسرتها.

كما أن للاستقرار لون آخر يتلخص في تحريم الزيجات التي تتنافى مع تحقيق معاني السكن المعنوي كالزيجات التي تحدد بزمن محدد ووقت معين، مثل نكاح المتعة وأي زواج بنية الطلاق، "ولما كان الاستقرار في السكن الحجري لا يتحقق دون إحساس بالبقاء في المسكن، فأي إحساس بالخروج أو التغيير فإنه مشوش ويوقع في الحرج الدائم مما لا يتحقق معه السكن، ونفس الأمر يقال للسكن البشري، إذ إن الديمومة هي الكفيلة بتحقيق السكن الحقيقي والاطمئنان المعنوي"(١)

لذا فإن المساكن كي تقوم لابد من توفر عنصرين هما الهدوء والاطمئنان، وإذا فقد المكان الذي تسكن فيه عنصرا من هذين العنصرين وهما الهدوء والطمأنينة لا يقال عليه مسكن، ونظير ذلك قول الله تعالى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي راحة واطمئنانا ورحمة(٢).

ثانيا: تعزيز مفهوم المودة والرحمة:

أرسى الإسلام مبدأ المودة والرحمة بين الزوجين؛ لضمان استقرار التكاملية الزوجية والتي ستضمن استقرار المجتمع بأكمله، فبعد تعزيز مفهوم السكن بشقيه، عزز المفاهيم التي يتطلبها السكن، وهي المودة، فإن لم تكن فالرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾]الروم: ٢١] وكأن الأصل الذي يجب أن تكون عليه العلاقة بين الزوجين هو وجود المودة والرحمة بينهما، أما ما يقع في الزواج من تنازع وشقاق فهو خلاف الأصل. قال البغوي : "جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما"(٣).

وتتحصل المودة بإدراك حقائق الأمور، فليس بالضرورة أن يتوافق الزوجان توافقا تاما حتى يحكم على نجاح هذا الزواج واستقراره فالنفوس طبائع، والأمور تدار بالمداراة وقد نبه إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : "لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْها خُلُقًا رَضِيَ مِنْها آخَرَا أَوْ قَالَ: "غَيْرَهُ"(٤)، قال النووي:" أي ينبغي أن لا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خلقًا يكره وجد فيها خلقًا مرضيًا بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينَةٌ، أو جميلة، أو عفيفة، أو رفيقة به أو نحو ذلك"(٥).

---

(١)مقاصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران، جميلة تلوت، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، (٢٠١٧) ص. ٦٩-٩٢.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١/ ٢٦٢)

(٣) معالم التنزيل (٣/ ٥٧٥)

(٤)أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء (٢/ ١٠٩١) رق الحديث (١٤٦٩)

(٥) شرح النووي على مسلم (٥٨/١٠).

وقد لا تحصل المحبة والمودة بين الزوجين ويمنع من حصولها مانع، فتسد الرحمة مسدها، فتقيم ما أعوج، وتستر ما نقص، فالمودة عطاء؛ فإن عدم فالرحمة واجبة وهي في حق الرجل أوجب إذ يجب عليه أن يرحم زوجته ويجتنب الإساءة إليها وهي من المعاشرة بالمعروف، قال ابن كثير:" ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهنَّ مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إنما لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما وغير ذلك"(١).

والناظر في الآيات المتعلقة بالأسرة في القرآن الكريم يرى أن (الرحمة) هي المقصد الجامع والحاكم؛ وعنه تتفرع بقية المقاصد؛ ومن ثمّ؛ كانت الأسرة كيانا اجتماعيا مرحوما، قال عز وجل: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا**﴾[النساء: ١]، يقول الشيخ الشعراوي: "أما الرحمة فتأتي في مؤخرة هذه الصفات: سكن ومودة ورحمة، ذلك لأن البشر عامة أبناء أغيار، وكثيراً ما تتغير أحوالهم، فالقوي قد يصير إلى الضعف، والغني قد يصير إلى فقر، والمرأة الجميلة تُغيِّرها الأيام أو يهدّها المرض، لذلك يلفت القرآن أنظارنا إلى أن هذه المرحلة التي ربما فقدتم فيها السكن، وفقدتُم المودة، فإن الرحمة تسعكما، فليرحم الزوج زوجته إنْ قَصُرت إمكاناتها للقيام بواجبها، ولترحم الزوجة زوجها إنْ أقعده المرض أو أصابه الفقر .."(٢).

ثالثا: تعزيز مفهوم القوامة:

تعزيز مفهوم القوامة من أهم المفاهيم التي لا بد أن تثار في العصر الحديث؛ وذلك لما تعرض له هذا المفهوم من محاربة شديدة من أطياف متعددة، والتي تجني من اسقاطه الكثير من المكاسب الخاسرة.

ففي حين دعى القرآن إلى التكاملية من خلال توزيع الأدوار والمسؤوليات بين الزوجين أكد على مبدأ القوامة إما بلفظه صراحة في قوله تعالى ﴿ **ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ** ﴾ [سورة النساء: ٣٤] وإما دلالة على معنى التفضيل في قول الله تعالى: ﴿**وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ**﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨]

والقوامة تعني أن الزوج هو قيم الأسرة ورئيسها المطاع، وهو قيم على المرأة والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت واختلت الطباع، فعلى الرجال بهذه القوامة تعليم النساء والأخذ على أيديهنَّ؛ لتستقيم الحياة ويكتب لهما النجاة.

وقد ذكر الله في آية القوامة سببين للتفضيل:

الأول: منحة إلهية من غير كسب، وهو ما حباه الله تعالى للرجل من العقل، والقوة، والشجاعة؛ فكان منهم الأنبياء، والولاة وغير ذلك من الأمور التي تؤهله وتقدمه على الأنثى وهو قوله تعالى: ﴿**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ**﴾ قال النيسابوري: "وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم، والعزم، والقوة، والكتابة في

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧٨)

(٢) تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي (١٨/ ١١٣٦٠).

الغالب، والفروسية والرمي، وأن منهم الأنبياء، والعلماء، والحكماء، وفيهم الإمامة الكبرى وهي الخلافة، والصغرى وهو الاقتداء بهم في الصلاة، وأنهم أهل الجهاد، والأذان، والخطبة، والاعتكاف، والشهادة في الحدود والقصاص بالاتفاق وفي الأنكحة عند الشافعي، وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه، والحمالة تحمل الدية في القتل الخطأ والقسامة، والولاية في النكاح، والطلاق، والرجعة، وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، وكل ذلك يدل على فضلهم، وحاصلها يرجع إلى العلم والقدرة"(١)

والسبب الثاني: سبب كسبي يرجع إلى إنفاق الرجل ماله على المرأة سواء كان ذلك الإنفاق مهرا أو نفقة أو غيرها من الأمور المادية التي كلفه الله بها ، قال الله تعالى: ﴿ **وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ** ﴾، فأوجب لها النفقة عليه في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ** ﴾ [الطَّلَاق] قال الخطابي: "في هذا إيجاب النفقة والكسوة لها، وليس في ذلك حد معلوم"(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] أثبت تفضيل الأزواج في حقوق كثيرة على نسائهم، لكيلا يظن أن المساواة المشروعة بقوله: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**ۚ ﴾ مطردة، ولزيادة بيان المراد من قوله بالمعروف، وهذا التفضيل ثابت على الإجمال لكل رجل، ويظهر أثر هذا التفضيل عند نزول المقتضيات الشرعية والعادية.

وهذه الدرجة اقتضاها ما أودعه الله في صنف الرجال من زيادة القوة العقلية والبدنية، وهي ما فضل به الأزواج على زوجاتهم: من الإذن بتعدد الزوجة للرجل، دون أن يؤذن بمثل ذلك للأنثى، ومن جعل الطلاق بيد الرجل دون المرأة، والمراجعة في العدة كذلك، وذلك اقتضاه التزيد في القوة العقلية وصدق التأمل، وكذلك جعل المرجع في اختلاف الزوجين إلى رأي الزوج في شؤون المنزل، لأن كل اجتماع يتوقع حصول تعارض المصالح فيه، يتعين أن يجعل له قاعدة في الانفصال والصدر عن رأي واحد معين من ذلك الجمع، ولما كانت الزوجية اجتماع ذاتين لزم جعل إحداهما مرجعا عند الخلاف، ورجح جانب الرجل لأن به تأسست العائلة، ولأنه مظنة الصواب غالبا(٣).

قال القرطبي في بيان معنى الدرجة: "قوله تعالى: (وللرجال عليهن درجة) أي منزلة، فزيادة درجة الرجل بعقله وقوته على الإنفاق وبالدية والميراث والجهاد. ولا يخفى على لبيب فضل الرجال على النساء، ولو لم يكن إلا أن المرأة خلقت من الرجل فهو أصلها، وله أن يمنعها من التصرف إلا بإذنه، فلا تصوم إلا بإذنه ولا تحج إلا معه. وقيل: الدرجة الصداق، قاله الشعبي. وقيل: جواز الأدب. وعلى الجملة فدرجة تقتضي التفضيل، وتشعر بأن حق الزوج عليها أوجب من حقها عليه، وقال ابن عباس: الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة، والتوسع للنساء في المال والخلق، أي أن الأفضل ينبغي أن يتحامل على نفسه. قال ابن عطية: وهذا قول حسن بارع"(٤)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٤٠٨).

(٢) معالم السنن (/٢٢١٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢/ ٤٠٢)

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ١٢٥) بتصرف.

لذا أوجب الله على الزوجة طاعة زوجها، وجعلها من أعظم القربات التي تتقرب بها المرأة الصالحة إلى الله- تعالى، قال الله تعالى:﴿**فَالصلِحَتُ قَنِتَتٌ حَفِظَتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [سورة النساء:٣٤]، فوصف الله في هذه الآية الزوجة الصالحة بوصفين؛ لأن شأنها لا يخلو إما أن يكون زوجها حاضرًا أو غائبًا، أما حالها عند حضور الزوج فقد وصفها الله بأنها قانتة، وأصل القنوت دوام الطاعة.

وأما حالها عند غيبة الزوج فقد وصفها الله – تعالى – بقوله: ﴿**حَفِظَتٌ لِلْغَيبِ** ﴾ في كلما ينبغي عليها حفظه في غيبة زوجها، فهي تحفظ نفسها من الزنا، وتحافظ على ماله من الضياع، وغير ذلك[١]، ومقصود ذلك كما قال القرطبي:" الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله، وفي نفسها في حال غيبة الزوج"[٢]

رابعا: تعزيز مفهوم المعاشرة بالمعروف

اعتنى الإسلام بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال، وتشبيهها بما للرجال على النساء؛ لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة، مسلمة من أقدم عصور البشر، أما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه أو كانت متهاونا بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الإسلام فأقامها[٣].

وأعظم ما أسست به هذه الحقوق ما جمعه قول الله تعالى: ﴿**ولهن مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ [سورة البقرة: ٢٢٨] وقول النبي ﷺ: "إن لكم على نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقًّا"[٤]، فحين أعطى الله الزوج حقَّ القوامة ألزمه بواجبات تجاه زوجته، فهي حقوق لها عليه وحري به ألا يقصِّر في أداءها وهو مقتدر؛ فيكون بذلك داخلًا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "كَفَى بِالمرءِ إثما أَنْ يحبس عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ"[٥].

ويحث القرآن الكريم الزوج في غير هذا الموضع على المعاشرة بالمعروف ولين الجانب في المعاملة مع الزوجة، والتي تعتبر إحدى مظاهر التكاملية الزوجية. يقول تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ، فَإِن كَرِهتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [سورة النساء:١٩] قال البيضاوي: " ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول ... فلا تفارقوهنَّ لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح دينا وأكثر خيرًا، وقد تحب ما هو بخلافه. وليكن نظركم إلى

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي(١٠/٧١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ١٧٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢/ ٣٩٦)

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الرضاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (٢/ ٤٥٨) رقم الحديث (١١٦٣)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك، وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم (٢/٦٩٢) رقم الحديث(٩٩٦).

ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير، وعسى في الأصل علة فأقيم مقامه. والمعنى: فإن كرهتموهنَّ فأصبروا عليهنَّ فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم"[(١)].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكرم الناس في معاملته لأزواجه؛ فكان يتلطف بهم، ويوسع في نفقته عليهم، ويقول كما جاء في الحديث الذي روته عائشة – رضي الله عنها –: "**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وأنا خيرُكُم لأهلي**"[(٢)] وكان يوصي بالنساء خيرًا قال صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء" [(٣)]، قال ابن حجر في بيان ذلك: "قوله "بالنساء خيرا" كان فيه رَمْزًا إلى التقويم برفق؛ بحيث لا يبالغ فيه فيكسر، ولا يتركه فيستمر على عوجه... وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألف القلوب وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن والصبر على عوجهن وأن من رام تقويمهن فإنه الانتفاع بهن مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه فكأنه قال الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها"[(٤)]، فعندما يدرك الزوج أو الزوجة أن حسن المعاملة والتقدير هو واجب شرعي وأخلاقي، فإن ذلك يُعزز شعور كل طرف بمسؤوليته تجاه الآخر، ويؤدي إلى

قال القرطبي في بيان مالهن من حق:" قوله تعالى: ﴿**ولهن مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ**﴾

أي لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، ولهذا قال ابن عباس: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنظف كل حقي الذي لي عليها فتستوجب حقها الذي لها علي، لأن الله تعالى قال: ﴿**ولهن مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ**﴾ أي زينة من غير مأثم. وعنه أيضا: "أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن". وقيل: إن لهن على أزواجهن ترك. مضارتهن كما كان ذلك عليهن لأزواجهن. قال الطبري: وقال ابن زيد: تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم، والمعنى متقارب. والآية تعم جميع ذلك من حقوق الزوجية"[(٥)].

خامسا: تعزيز مفهوم التشاور والتراضي والمبادرة في حل الأزمات.

يمثل مبدأ التراضي والتشاور بين الزوجين أحد الركائز الأساسية في التكاملية الزوجية، فقد أكد القرآن الكريم على أهمية أن تكون القرارات داخل الأسرة ناتجة عن توافق وتشاور، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ**﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣] فدلت الآية على ضرورة الاتفاق والتشاور في أبسط القرارات، كفطام الطفل، مما يعزز مبدأ المشاركة في إدارة الأسرة. قال

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للنيسابوري (٢/٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٦/١٩٢)، رقم الحديث(٣٨٩٥)، وقال: " هذا حديث حسن صحيح".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الوصية بالنساء (٧/٥١٨٥/٢٦)، ومسلم في "صحيحه"، كتاب: الرضاع، باب: الوصية بالنساء (٤/ ١٣٣) رقم الحديث (٣٣٣١)

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٢٥٤).

(٥) تفسير القرطبي (٣/ ١٣٥) بتصرف

ابن عاشور: "تشاور هو مصدر شاور إذا طلب المشورة. والمشورة قيل مشتقة من الإشارة لأن كل واحد من المتشاورين يشير بما يراه نافعا فلذلك يقول المستشير لمن يستشيره: بماذا تشير علي كأن أصله أنه يشير للأمر الذي فيه النفع،....وعطف التشاور على التراضي تعليما للزوجين شؤون تدبير العائلة، فإن التشاور يظهر الصواب ويحصل به التراضي"(١).

وقد جعل الله الشورى كمبدأ عام للمؤمنين في قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى:٣٨]، وقد فسّر الإمام القرطبي هذه الآية بأنها تشمل كل العلاقات الاجتماعية، فأمرهم شورى بينهم" أي يتشاورون في الأمور، والمشورة بركة، قال الحسن: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم. وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا"(٢).

ولا أبرع من وصف القرآن حين لخص حقيقة العلاقة بين الزوجين فوصف العقد القائم بينهما بأنه ميثاق غليظ: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة النساء: ٢١] فوصفه بالغلظة لقوته وعظمته، وقالوا: صحبة عشرين يوما قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج.(٣)

فالقرآن الكريم لا ينظر إلى الحياة الزوجية كعلاقة سلطة أو غلبة، بل كعقد تشاركي قائم على الرضا المتبادل، والتفاهم، والتكامل في صنع القرار الأسري.

كما حثَّ القرآن الكريم على الزوجين على المبادرة في إدارة الأزمات والخلافات الزوجية والمسارعة إلى حلِّها؛ لأن المبادرة إلى الحل يشكل جانبا متينا في تعزيز التكاملية الزوجية، حيث يساعد على تحويل المواقف الصعبة إلى فرص للتفاهم والتعاون. بالالتزام بالتواصل الإيجابي، والتعاطف، والتعاون، واحترام الحقوق والواجبات؛ لتُصبح الأزمات أداة لتقوية العلاقة الزوجية وتحقيق الاستقرار الأسري.

فالأزمات والخلافات جزء لا يتجزأ من الحياة الزوجية، ولكن الطريقة التي تُدار بها هي ما يُحدد تأثيرها على العلاقة. إذا أُديرت الأزمات بحكمة وفهم، فإنها تُصبح فرصة لتعزيز التفاهم والتكاملية بين الزوجين بدلاً من أن تكون سببًا للانفصال أو التنافر.

وعند حدوث الخلافات، حث القرآن إلى حلها بطرق تعتمد على الحوار والتفاهم، كما أمر الأزواج بمحاولة الإصلاح قبل اللجوء إلى الانفصال، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٣] وهذا يدل على أهمية التكامل في مواجهة الأزمات.

والخلافات الزوجية لا يسلم منها أحد؛ والعاقل من التمس العذر للطرف الآخر، فجعل ظاهر القبيح حسنا، لذا حث الله على العفو واستحضار الفضل، قال الله تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٧] قال الرازي: "معنى الآية: عفو بعضكم عن بعض أقرب إلى حصول معنى التقوى وإنما كان الأمر كذلك لوجهين الأول: أن من سمح بترك حقه فهو محسن، ومن كان محسنا فقد استحق الثواب، ومن استحق الثواب نفى بذلك الثواب ما هو دونه من العقاب وأزاله.

(١) التحرير والتنوير (٢/ ٤٣٨)

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٦) بتصرف

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/ ١٦)

والثاني: أن هذه الصنع يدعوه إلى ترك الظلم الذي هو التقوى في الحقيقة، لأن من سمح بحقه وهو له معرض تقربا إلى ربه كان أبعد من أن يظلم غيره يأخذ ما ليس له بحق.

ثم قال تعالى: **(وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ)** وليس المراد منه النهي عن النسيان لأن ذلك ليس في الوسع بل المراد منه الترك، فقال تعالى: ولا تتركوا الفضل والإفضال فيما بينكم"[1]

وليتذكر كل واحد منكم ما لصاحبه من أياد عنده، تدل الآية على أهمية التغاضي عن الزلات، وتذكُّر ما كان من خير وإحسان بين الزوجين، مما يدخل ضمن أدب التغافل المشروع الذي يُبقي على روح المودة ويمنع تصعيد الخلافات.

ولا يقصد بالتماس العذر التغافل عن الأزمة دون نقاشها مناقشة من يريد دوام العشرة لا الفرقة؛ لأن التماس العذر دون النقاش قد يراكم المواقف، فينفجر الطرف المتضرر في موقف لا يستحق ما أبداه من ردة فعله والتي لا تتناسب مع ما حصل، فإدارة الأزمات تتطلب معالجة المواقف والوقوف على المسببات وقبول الأعذار والانتهاء عما سلف.

كما ندب الرجل إلى المعاشرة بالمعروف حتى عند الكره ونفور النفس وعدم ترك أثر النفور يتحول إلى ظلم أو قسوة، قال الله تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا** ﴾ [سورة النساء: ١٩]، ففي الآية تعليم عظيم للأزواج، بعدم المسارعة إلى إنهاء العلاقة الزوجية لأسباب غير حقيقية، فكم من شيء مكروه ظاهره، ومحبوب باطنه، فإن كرهها، ولم يكن منها ما يوجب فراقها، فليصبر على صحبتها، فإن في الصبر على المكروه خير له في الدنيا والآخرة، قال ابن العربي في معنى الآية "المعنى: إن وجد الرجل في زوجته كراهية، وعنها رغبة، ومنها نفرة من غير فاحشة ولا نشوز فليصبر على أذاها وقلة إنصافها، فربما كان ذلك خيرا له"[2].

هذه أبرز سبل تعزيز التكاملية الزوجية، أوردتها لا على سبيل الحصر، فالقرآن الكريم حافل بالكثير من المبادئ والأسس التي تساهم في تماسك الأسرة المسلمة وإرساء أركانها سواء كانت تلك المبادئ موجهة للأسرة مباشرة أو كانت من مجموع المبادئ والأسس التي تُعنى بإقامة مجتمع إسلامي متكامل، وما اخترته هنا هو أنسبها في مواجهة التحديات المعاصرة التي تناولها البحث، والتي أرى أنها أكبر مسببات الفرقة الزوجية وأكثرها محاربة للتكاملية، فتعزيزها يساهم في الحفاظ على الكيان الأسري والتكاملية الزوجية.

(١) مفاتيح الغيب (١٥٤/٦)

(٢) أحكام القرآن (١/ ٤٦٨)

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد: فإني أضع بين يديكم أبرز النتائج التي خلصت بها من هذه الدراسة وهي كالتالي:

١. أرسى القرآن الكريم مفهوم "التكاملية الزوجية" وجعله نظاما ربانيا متكاملا، يقوم على مبدأ الشراكة المتبادلة بين الزوجين في الحقوق والواجبات، ويهدف إلى تحقيق السكن والمودة والرحمة.
٢. التحديات المعاصرة سواء كانت تحديات اجتماعية، أو اقتصادية أو نفسية أو تكنولوجية تُعد من أبرز المعوّقات التي تواجه هذا المفهوم، وتهدد استقراره داخل الأسرة المسلمة في العصر الحاضر.
٣. قدّم القرآن الكريم منهجًا متوازنًا في معالجة هذه التحديات، من خلال التأكيد على التشاور، التراضي، المعاشرة بالمعروف، والعدالة في توزيع الأدوار.
٤. أهمية فهم حقيقة التكاملية الزوجية لا بوصفها تماثلًا أو تطابقًا في الأدوار، بل تكاملاً يراعي الفروق الطبيعية والوظيفية بين الزوجين .
٥. غياب كثير من المفاهيم والمبادئ التي أرسل الله عليها التكاملية الزوجية في الإسلام وبينها القرآن الكريم عن كثير من البيئات الأسرية والزوجية، ما يستدعي تكثيف الجهود التوعوية والتربوية والإعلامية.

كما يوصي البحث بما يلي:

١. العناية بالتربية الأسرية في المناهج التعليمية، لتنشئة أجيال واعية بمفهوم التكاملية الزوجية.
٢. إطلاق برامج توعوية وإعلامية تبرز القيم القرآنية في إدارة الحياة الزوجية ومواجهة الأزمات.
٣. تعزيز دور الاستشارات الأسرية المستندة إلى الضوابط الشرعية لحل النزاعات الزوجية.
٤. تشجيع الحوار الزوجي المستمر من خلال الدورات التدريبية ومجالس التأهيل قبل الزواج.
٥. تشجيع البحوث العلمية التي تقوم على الدراسات الميدانية وتساهم في حل للمشكلات الأسرية وتحسين الحياة الزوجية بوضع حلول واقعية تلائم المجتمعات المعاصرة.
٥. التأكيد على مسؤولية المؤسسات الدينية والاجتماعية في التصدي للتحديات التكنولوجية التي تضعف الترابط الأسري.

المصادر المراجع:

القرآن الكريم.

١. أسس استقرار الحياة الزوجية دراسة موضوعية في ضوء القرآن الكريم، لمحمد منصور محمد إبراهيم، المجلة العلمية- جامعة الأزهر- كلية الدراسات الإسلامية للبنين بالديدامون-شرقية العدد (الثامن).

٢. الإسلام وتنظيم الأسرة، لمحمد عفيفي المنوفي، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣. الاقتصاد الإسلامي وأثره في الأسرة، لمحمد عبد الفتاح البستاني، دار السلام، القاهرة.

٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحيي الدين يحي بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت. الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس النشر: ١٩٨٤ هـ

٦. التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

٧. التغير الاجتماعي وأثره على الأسرة وشخصية الأبناء، د. زيتوني عائشة بية، مجلة دراسات وأبحاث، العدد (٢٨) سبتمبر ٢٠١٧

٨. تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٩. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

١٠. التكامل الأسري وأثره في استقرار الأسرة المسلمة، لفاطمة بنت محمد السالم، رسالة علمية مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٣. حقيقة التفكك الأسري اثاره وسبل علاجه، لأحمد ابن صالح القاسم، رسالة ماجستير مقدمة في جامعة محمد بن سعود الاسلامية منشورة، ٢٠١٦م .

١٤. الخلافات والصراعات بين الزوجين في الأسرة وأساليب تصفيتها، لصبيحة بوخدوني، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم النفسية والاجتماعية، ٢٠١٣

١٥. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
١٦. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي(المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٧. شذا العرف في فن الصرف، لأحمد بن محمد الحملاوي(ت ١٣٥١هـ)، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض.
١٨. ظاهرة البطالة: مفهومها، أسبابها وآثارها، رحيمي عيسى، وآخرون، مجلة ارتقاء للبحوث والدراسات الاقتصادية، ٢٠١٨م.
١٩. العلاج الاسري ومواجهة الخلافات الأسرية. أ. د. محمد مسفر القرني وسهير عبد الحفيظ الغالي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد لنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ٢٠٠٤م.
٢٠. العلاقة الزوجية المتكدرة وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء أ. نويبات قدور، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد(الثامن) ٢٠١٢م.
٢١. العلاقة بين اساليب التواصل الزواجي وقدرة الزوجين على إدارة ضغوط الحياة وأثره على دافعية الزوجة للإنجاز، أ.د. وفاء محمد فؤاد شلبي ولآخرون، المجلة العلمية لكلية التربية النوعية، كلية التربية – جامعة قناة السويس، العدد (الرابع) ٢٠١٥م.
٢٢. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٢٣. غريب الحديث، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.
٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٥. القوامة وأثرها في استقرار الأسرة، لعبد الحميد الكراني، دار القاسم للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، الرياض (١٤٣١هـ)
٢٦. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ
٢٧. مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية،
٢٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

٢٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٣٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ
٣١. معالم السنن، لحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية — حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
٣٢. معايير الشراكة الأسرية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، لعبد العزيز إبراهيم الأنصاري دراسة منشورة في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.
٣٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة.
٣٤. المغني، لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٣٥. مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
٣٦. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
٣٧. مقاصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران، لجميلة تلوت، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (٢٠١٧).
٣٨. مهددات التقنية الرقمية وتأثيرها على الأسرة، لفرح عبد الحسين نجمان، مجلة لارك جورنال العدد(٥٢)، ٢٠٢٤ م،
٣٩. الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م